الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كليّة اصول الدين

ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر التقصيد القرآني الجديد والمقاربات الحديثة في الدراسات القرآنية المعاصرة

تقصِيدُ الدَّرسِ اللُّغَوِيّ

دراسة لمصطلح (النّص) في آثار المفسرين المقاصديين (الطاهر ابن عاشور)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا
وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، اللهم صل على معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه.

يقول الله في كتابه {جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[1]وقال سبحانه {وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}[2]؛ عقّب الإمام الشافعي (فخلق لهم العلامات، ونصب لهم المسجد الحرام، وأمرهم أن يتوجهوا إليه وإنما توجههم إليه بالعلامات التي خلق لهم والعقول التي ركبها فيهم التي استدلوا بها على معرفة العلامات وكل هذا **بيان** ونعمة منه جل ثناؤه)[3]، ويقول الجرجاني عبد القاهر في إشارة لطيفة منه في شرح الاستعارة **العقلية** **(فاستحضر أهل الأثر في معرض الحديث عن العقلي الخالص)** (قوله (نجوم الهدى) تعني أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، فإنه استعارة توجب شبها عقليا لأن المعنى أنّ الخلق بعد رسول الله اهتدوا بهم في الدين كما يهتدي السارون بالنجوم، وهذا الشبه باق لهم إلى يوم القيامة، **فبالرجوع إلى علومهم وآثارهم وفعالهم وهديهم تُنال النجاة** من الضلال ... والشبه ههنا من حيث العقل، لأن القصد إلى مقتضى ضوء النجوم وحكمه وعائدته، ثم ما فيها من **الدلالة على المنهاج، والأمن والزيغ عنه والاعوجاج**، والوصول بهذه الجملة منها إلى دار القرار ومحل الكرامة = نسال الله تعالى أن يرزقنا ذلك ويديم توفيقنا للزوم ذلك والاهتداء، والتصرف في هذا الضياء، إنه عز وجل ولي ذلك والقادر عليه)[4] وهكذا لم يكن من علم نافع يتأسس في هذا الدين ولا نهج يُشقّ (الشافعي وعلم الأصول، والجرجاني وعلم البلاغة..) إلا ولصاحبه الولاء والاقتداء بأهل العلم الأول مُحَمَّد صلى

---

[1] سورة الأنعام، الآية 98 .

[2] سورة النحل، الآية 16.

[3] الإمام المطلبي مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1938،ص38.

[4] **أسرار البلاغة**، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر ، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط1، ص 69.

الله عليه وسلم وأصحابه فيكتب له القبول {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}[5] .

إن الشبهة التي عرضت على العربية فيما مضى تعلقت بمصادرها، وقد استخدم الله لهذا الثغر أهله فحققوا المخطوطات ونسبوا الكتب لأصحابها والشعر لأهله وفرزوا مصادر الأدب الصافية من مدخولها، أما شبهة زماننا هذا (والله أعلم) فأصابت المناهج لا المتون وكان حري بأهله أن يشكلوا من طينة هذه اللغة ومعينها الإلهي (القرآن الكريم) مناهج ترد عبث العابثين وتميز الغثّ من السمين، فـ(توظيف نص تراثي مشحون بمصطلحات علمية، لم تضبط مفاهيمها على التحديد والتدقيق، واعتماده لتعميم الأحكام الغليظة، وإطلاق الأقوال الجازمة، لأشبه ما يكون بالوقوف على سطح ملغوم، لا يدري متى قد ينفجر، و بمه)[6] و تعتبر الدراسات المصطلحية المرحلة الممهِّدة لمرحلة التركيب والتأسيس، يقول فريد الأنصاري بهذا الصدد (يحتل البحث المصطلحي المرتبة الثانية- بعد (التحقيق) مباشرة — من مراتب أولويات البحث العلمي، في العلوم الشرعية)[7] إضافة لهذه الأهمية الاحترازية، للدراسة المصطلحية أهمية تأسيسية تمكننا من تنسم مناهج العلوم إذ (في المصطلحات البسيطة الصغيرة تسكن صغار العلم وجزئيات، وفي المصطلحات المركبة الكبيرة تختزن كبار العلم وكلياته، وفي الأنساق المصطلحية العامة تتمثل أشجار مفاهيم العلوم وأشكال بنائها)[8] ولا تختلف حاجة البحث اللساني عن حاجة العلوم الشرعية لهذه الدراسات، وقد تفطن لهذا اللساني عبد الرحمن الحاج صالح فكان جلّ بحثه تحقيقا للمصطلحات اللغويّة ابتداء من رسالة الدكتوراه (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة) إلى آخر أبحاثه في نظرية (الوضع والاستعمال) إذ يعتبر تحقيقا لمفهوم المصطلحين، بل طوّر ما اصطلَح عليه بـ(المقارنة القياسيّة الدلاليّة)[9] الذي يعني تتبع دلالات مصطلح ما في عدة سياقات يجمعها سياق مرجعي واحد(حقبة زمنية، مصنف واحد ..) قصد (**استفراغ جميع ما يمكن أن يحيط بوحدة لغوية في**

---

[5] سورة الرعد، الآية 17.

[6] فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان ط1 الدار البيضا ذو القعدة 1417هـ ، صـ143

[7] نفس المرجع، صـ 140.

[8] الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، دار السلام للطباعة والنشر ولتوزيع والترجمة 2012، صـ 44.

[9] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر الجزائر 2012، صـ11-17.

الخطاب)[10] وهو منهج دراستنا بحول الله معززا بمنهج الدكتور الشاهد البوشيخي فيما اصطلح عليه بـ(منهج الدراسة المصطلحية)، إذ يعتبر من القلة الذين يضفون على الدرس المعجمي العربي الهم الحضاري والبعد القيمي، ويقصد به (منهج قائم بذاته في الدرس؛ يعتمد (العلمية) بشروطها في الوسائل، من الاستيعاب إلى التحليل فالتعليل فالتركيب. ويعتمد (التكاملية) حسب أولوياتها في المراحل؛ من الوصفية إلى التاريخية فالموازنة فالمقارنة، ويمكن تطبيقه بحسب الظاهر على كل مصطلحات العلوم في كل التخصصات)[11] ويتمثل في إحصاء موارد المصطلح في أجزاء متفرقات من آثار العالم المقاصدي للطاهر ابن عاشور إضافة إلى اشتقاقاته والقضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه ثم سرد تعاريفه المعجمية ووصف للمفاهيم المعتمدة لهذا المصطلح عند أهل لسانيات النص وأهل النقد ومقارنتها مع السمات الدلالية لهذا المصطلح التي لاحظناها في استعمال الطاهر ابن عاشور له.

إن تحديد الكليات التي تحكم وتوجه الدرس العربي اللساني الحاضنة لكل مفاهيمه يساهم في تأسيس مناهج انطلاقا من هذه المفاهيم، ولعل هذا ضرب من الدراسات البينية العابرة للتخصصات الناظرة في الأصول التي تتطلب من الرسوخ في العلم ما تنوء به العُصبة، بينما الغاية من بحثنا هي محاولة تنسم مفهوم (النص) من خلال مساهمات المقاصديين (الطاهر ابن عاشور نموذجا)، اخترنا ابن عاشور لأنه ابن عصر أصبح فيه (تجاوز الجزئي إلى الكلي طريقة في التناول ومنهجا في التحليل وسمة من سمات الفكر)[12] فلسانيات النص وعلم المقاصد كلاهما وليد وعي بآفة التجزيء والاستغراق في الفروع مع إهمال المحكمات (الشيء أنتج نظريات مبتورة من سياقها وحال دون التراكمية المحمودة التي ميزت إسهامات الأولين)، وبإطلاقنا لاسم هذا المصنف لا نعني استيعاب الدراسة لكل آثاره الطيبة {عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً} [13]، بقدر دلالتنا على جزئية

---

[10] نفس المصدر، ص17.

[11] الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت 1995م، ط2، ص2.

[12] عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، من بحوث المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية 2013/02/16، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الموقع الرسمي للمركز، ص19

[13] سورة الكهف، الآية 24.

الدراسة، فقد قامت على نماذج جد محدودة من آثار العلامة، لضيق الوقت والمقام ولأن بضاعتنا في علم المقاصد مزجاة لم نراوح فيها صفوف المبتدئين، فكان لزاما احترام هذا التدرج حتى لا تلقي بنا أمانينا البحثية في المعاطب ونفسد من حيث أردنا الإصلاح.

سؤال المرجعية:

لعل السؤال الذي يلي سؤال الجدوى والأهمية من هذه الدراسة المصطلحية هو سؤال المرجعية، إذ اللسانيات علم غربي النشأة والتطور و(جل الممارسات النقدية الحديثة عند العرب سجينة الأخذ، محظورا عنها العطاء)[14] وفاعلية هذا العلم (اللسانيات) وسهولة توظيفه في المجالات التربوية والحاسوبية والقضائية وغيرها كتبت له الحياة وصار لزاما على كل غيور على لغته أن يحيطه بالاهتمام الذي يهذب شعث مناهجه ويسدد مقاصده و(لا قيمة لاهتمام في ميزان الغد الحضاري المنتظر، ما لم يؤسس على العلمية أولا، ثم على المنهجية ثانيا، ثم على التكاملية، شرطا في السير الراشد ثالثا)[15] فكونه **علما وافدا** أثقله بالعوالق الفكرية والأيديولوجية والمنهجية التي تستدعي النظر والفرز، (إن مثل هذه الحركة الانتقالية إلى بيئة جديدة لا تتم دون عوائق أبدا، بل تنطوي، بالضرورة على عمليات من التمثل والتأسيس، حيث تختلف هذه العمليات عن تلك القائمة عند نقطة المنشأ)[16] فبأي مرجعية تقوم مصطلحات هذا العلم ومناهجه، وبأي أدوات تهذب نظرياته؟

يتفق علماء لغة النص على أنه علم (نشأ في بلدان مختلفة تتباين في الأصل)[17] وفهو خاضع لثقافاتها وفي بلداننا العربية لا نجد جوابا للأسئلة التي تبحث في الأصول إلا فيما ثبت عن عدول أهل الشريعة ورجالها، على رأسهم وحامي حوزتهم والذاد عن جنابهم الإمام المطلبي أبو إدريس الشافعي، لِما ثبت لهذا

[14] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب ط3 ، صـ 18.

[15] الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، صـ42.

[16] إدوارد سعيد، انتقال النظريات ترجمة أسعد رزوق، مجلة الكرمل العدد التاسع يوليو 1983، صـ 12

[17] سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، مكتبة لبنان ناشرون ط1، صـ101.

العالم من الإجماع على التحقيق في العلم ووُفور العقل مما لم أشهده شهودا (لقصر نظري عن إدراك مراميه وقلة تبحري في علمَي الأصول والفقه) لكن حصّلته توقيفا ممن هم أعلم بأثره، يقول اللساني التواتي ابن التواتي بهذا الصدد (وهنا نجد أن المقدمة اللغوية في كتب علماء أصول الفقه هي المكان المناسب الذي نبحث فيه عن دراسة علماء العربية للدلالة)[18]. ولمعترضٍ أن يقول: إن في الرجوع إلى أقوال أهل العلم من المشتغلين **بعلوم الشريعة** من التحيز ما قد يُخل بعلمية البحث اللغوي وموضوعيته، إذ أن الانتماء للدين قد يحمل هؤلاء على أن يقدموا المصلحة الدينية على المصلحة اللغوية (المعرفية) فيُحدثوا في هذه ما ليس فيها، وهذا قول لا يخطر إلا لجاهل باللغة العربية أوبالدين أو بهما معا، وذلك لأمرين:

1) **كونُ قَوام الإعجاز الذي أنزل به القرآن هو اللغة**،وهو المقصد الثامن الذي ساقه المعلم الطاهر ابن عاشور للقرآن فإن هم حرّفوها أوأحدثوا في قوانينها ما ليس من صميمها سقط الإعجاز القرآني معجزة النبي مُحَمَّد اللهم صل عليه، فكان إحداثهم في اللغة لمآرب دينية (حسب ما ادعى المدعي) إسقاط لأصول الدين ككل وكان فهمهم السقيم للغة العرب يورثهم سُقما في فهم كتابهم وبالتالي إدراك إعجازه، إذ لا يصح إثبات الإعجاز إلا بوجود طرفين (القرآن ولغة العرب) ومِن لطيف ما يتفق في هذا الباب ما نقل المعلم أبو فهر عن أبي عثمان الجاحظ من تساؤل (ألا ترى أنّ الناس قد كان يتهيأ في طباعهم، ويجري على ألسنتهم، أن يقول رجل منهم: (الحمد لله)، و(إنّا لله)، و(على الله توكلنا) و(ربنا الله) و(حسبنا الله ونعم الوكيل). وهذا كله في القرآن، غير أنه متفرق غير مجتمع، ولو أراد **أنطق** الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه "و" مخرجه، لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان ومَعدِ بن عدنان)[19] يثبت فيه أن هذا القرآن مُنزل بوحدات لغوية يتداولها العرب ويستعملونها فهي من صميم لغتهم، لكنه نظما يفوق أي نظم يمكن أن يؤلفه بشر، فالأجدر بالحصيف أن يتجاوز سؤال القدرة على الإتيان بمثل القرآن (أي

[18] التواتي ابن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي، صـ 94.

[19] محمود مُحَمَّد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، دار المدني 2002م، صـ65.

إثبات إعجازه من عدمه، وهي قضية كلامية قُتلت بحثا) إلى سؤال اكتساب وتنمية القدرة على **إدراك إعجازه وتثويره**.

2) وهي الحجة التي توسل بها الإمام الشافعي المطّلبي، أن فقه دينهم لا يقوم إلا على فهم اللغة، وهذا باعترافهم بل بنص كتابهم {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}[20] ، فأيُّ إحداث أوسوءُ استيعاب لها سيعود بالضرر الخطير على فهمهم للشريعة، لهذا كان حرص علماء الشريعة على اللغة أكبر من حرص علماء اللغة أنفسهم، لقوة دافع أولئك (دافع مصيري) على دافع هؤلاء (دافع معرفي بحت) ومعلومٌ أن مصير الإنسان أهم لديه من كل ما دونَه. وقد أفاد اللغويون من أهل التفسير خاصة غيرَ قليل من الألفاظ والمسائل نبه لها أبو النصر السمرقنديّ[21] في كتابه (المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى)، فجعل فيه بابا بعنوان (ما جاء عن أهل التفسير ولا يوجد له أصل عند النحويين ولا في اللغة)[22] ومن الأمثلة على هذا لفظ (الربانيون) في قوله سبحانه {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}[23] إذ حكم أبو عبيدة القاسم بن سلام (224هـ) بأنها ليست عربية فقال (وأحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية أو سريانية ... وإنما عرَفها **الفقهاء وأهل العلم**)[24] و عقّب الدكتور مساعد الطيار بعد إحصاء لتفاسير اللفظ عند (الفقهاء وأهل العلم) فلم يجد من أخرجها من اللغة العربية فقال (وليس لأبي عبيد في هذا التفسير إلا الظنّ ... وليس هذا بكاف في إخراج لفظ من القرآن العربي إلى لغة غيرها، ولو جعل أبو عبيد قول هؤلاء السلف حجة في العربية لما احتاج إلى هذا التخريج)[25] وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل[26].

---

[20] سورة إبراهيم، الآية04.

[21] أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد، أبو النصر السمرقندي، المعروف بالحدادي، قرأ على أبي سعيد السيرافي وابن مهران، له باع في علم القرآن والتفسير والعربية ، توفي بعد 400 هـ، ينظر : غاية النهاية ج1صـ 105.

[22] المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، صـ 98.

[23] سورة آل عمران، الآية 79.

[24] ينظر: المعرب، للجواليقي ، تحقيق أحمد شاكر ، صـ161 .

[25] التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، صـ566.

هذا في تعليل المرجعية الدينية أما في تبيّن أهم الاحترازات التي تفرضها على المتعامل مع النظريات الأعجمية فقد أورد الشافعي في مقدمة رسالته الأثيرة (باب: البيان الخامس) طريقا لاحبا ومنهجا مستتبا خلاصته:

إسقاط دعوى شمولية النظريات اللسانية الوافدة

بينما يسعى اللسانيون إلى الإحاطة التامة باللسان البشري، قال الشافعي مذ أربعة عشر قرنا (ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، **ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ**، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه)[27] يرد قول الإمام في سياق الردِّ على من عارض قولَه بأن القرآن نزل بلسان عربي، بعد أن قدم له بمقدمات بديعة: فيجعل العلم باللسان العربي أشبه بإحاطة أهل الفقه بعلم الحديث وفي هذا التشبيه من اللطائف ما يؤنس إذ أن أغلب علماء الفقه يقتصرون من علم الحديث على الأبواب التي يشتغلون عليها دون باقي أبواب الحديث فترى الواحد منهم قد (ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودا عند غيره)[28] ، كذلك أهل اللسان الواحد ينهلون ويستعملون من المصطلحات ما يخدم بيئتهم ومصالحهم وتوجهاتهم باختلاف أجناسهم وتخصصاتهم ومدارك أذهانهم.. والإمام لم يغفل ظاهرة ورود بعض الكلمات غير العربية في المصحف، إذ أرجع هذا إلى ظاهرة **اشتراك الألسنة** في بعض الألفاظ، التي تعود إلى سببين كما وضح الإمام:

- **التأثر(تبعية جزئية)**: أو ما وصفه الإمام بـ(تعلمه منهم ... ومن نطق بقليل منه فهو **تبع** للعرب فيه)[29] والعكس بالعكس، فمن تعلم كلمة من غير أهل العرب فهو تابع لهم فيها، وللتبعية

---

[26] قال الثعالبي في معنى هذا المثل (نهر الله من أمثال العامة والخاصة، إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وإذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى، ونهر معقل بالبصرة ونهر عيسى ببغداد، وعليهما أكثر الضياع الفاخرة ... وإنما يريدون بنهر الله البحر والمطر والسيل فإنها تغلب سائر المياه) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ص30-31.

[27] الرسالة، ص 42.

[28] نفس المصدر، ص43.

[29] نفس المصدر، ص44.

فوائد ومآخذ تتحدد بسياقها، كما لها عوامل جغرافية وثقافية تخرج بنا عما نحن بصدده، فأي لفظ عرض على لسان العرب وقد تقرر انتماؤه إلى غيره فهو من قبيل التأثر الذي يرد على كل لسان .

- **التبعية (الكلية)**: ولعل له مصطحات أخرى تقاربها في الدلالة عند أهل اللسانيات التفاضلية أوالمقارِنة، ويرد في قوله (فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض، فلا بد أن يكون بعضهم **تبع** لبعض **وأن يكون الفضل في اللسان المتبَع على التابع**)[30] فانتفاء علاقة التداخل يحيل بالضرورة لعلاقة تباين واختلاف، ووُرود هذا الاختلاف يسوق بدوره للأفضلية والتفوق اللذين يتحددان وفق المرجعية التي يختارها المصنِف (يختار بعض المحدَثين المرجعية النفسية المبنية على أسس غير علمية كالانبهار وولع الغالب بالمغلوب فيعتمدون بوعي أو بغير وعي هذه التبعية في دراساتهم ويرجعون في كل صغيرة وكبيرة للمناهج الغربية) بينما الإمام الشافعي يعتمد مرجعية الوحي التي تَعتبِر التبعية الكلية (تختلف عن التبعية الجزئية التي سماها **التأثر**) في لسان العرب خبَثا يَبخس اللسان العربي حقه ولهذا أورد الإمام فتواه الشهيرة بأن (لا يجوز–والله أعلم– أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه)[31] ويَقصد بكل لسان **تبع** للسانه أي كل لسان تبع للسان رسول الله اللهم صل عليه، بعد قرون من هذا التأسيس اللغوي الفقهي الحضاري (إن صحّ الوصف) يكتب مصطفى صادق الرافعي، الدليل الحيّ الذي أينعت اللغة على يديه وأثبت عبر أعماله أنّ (فيها من أسباب النمو ما يحفظ عليها شباب الدهر)[32]، عمّا اصطلح عليه بال"**الجنسية اللغوية**" التي اعتاد العرب أن يبالغوا في مراعاتها في تعاملهم مع الدخيل من الألفاظ إذ أنهم (لم يتناولوا اسما من أسماء الأجناس أو الأعلام إلا غيّروه متى كان فيه

---

[30] نفس المصدر، ص46 .

[31] عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص46.

[32] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ج01 ، ص115.

ما ليس من حروفهم)[33] هذا في أسماء الأعلام المستعصية على التغيير فما بالك بما دونها مما يطاله الاشتقاق.

بالإضافة لما أشار إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مما وصفه بالظاهرة التي حظت **بإجماع العلماء** كأهم ميزة يمتاز بها اللسان (ألا وهي صفته **الإرغامية** بالنسبة إلى فكر المتكلم وبالتالي دوره الرئيسي في تكوين المفاهيم)[34] يدخل في هذا المفاهيم اللسانية، فإن كان الإمام الشافعي نهى عن التبعية في الحرف الواحد فإن عبد الرحمن الحاج صالح يعزر هذا بما توصل إليه المفكرون الغربيون في نظرية اشتراط اللغة ونسبيتها لما لهذه التبعية من عواقب وخيمة تعود على اللغة التابعة، فتطبيق النتائج التي توصل إليها الرفيقان رقية حسن وهاليداي[35] على اللغة العربية بشكل مباشر وقد انطلقا فيه من استقراء عينات لغوية إنجليزية وتوصلا إلى نظرية ذات مناهج ومصطلحات بمفاهيم وليدة ذاك التداول مخلٌ بلغتنا لا محالة، تزداد الفجوة اتساعا حين يتعلق الأمر بنظريات ذات خلفيات فكرية، وقد قال الرافعي (عرّفوا الحي بأنه الكائن الذي ينمو **من باطنه،** فإذا كان في اللغة ما يساعد على نموها المستمر مع بقائها متميزة في نفسها ... وإلا فتلك هي اللغة التي أحق ما توصف به أنها سائلة في طرق الكلام، وأن أهلها صعاليك في طرق التاريخ)[36].

يقول الله سبحانه { يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا **راعِنا** وقُولُوا انْظُرْنا واسْمَعُوا ولِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ}[37] وقد استعان ابن عاشور بأسباب النزول لتبين مقاصد الآية فقال (إنَّ النَّهْيَ عَنْ أنْ يَقُولَ المؤْمِنُونَ كَلِمَةَ لا ذَمَّ فِيها ولا سَخَفَ لا بُدَّ أنْ يَكُونَ لِسَبَبٍ وقَدْ ذَكَرُوا في سَبَبِ نُزُولِها أنَّ المسْلِمِينَ كانُوا إذا ألْقى عَلَيْهِمُ النَّبِيءُ ﷺ الشَّرِيعَةَ والقُرْآنَ يَتَطَلَّبُونَ مِنهُ الإعادَةَ والتَّأنِّيَ في إلْقائِهِ حَتّى يَفْهَمُوهُ ويَعُوهُ فَكانُوا يَقُولُونَ لَهُ: راعِنا يا رَسُولَ اللَّهِ أيْ لا تَتَحَرَّجْ مِنّا وارْفُقْ وكانَ المنافِقُونَ مِنَ اليَهُودِ يَشْتُمُونَ النَّبِيءَ ﷺ في خَلَواتِهِمْ سِرًّا وكانَتْ لَهم كَلِمَةً بِالعِبْرانِيَّةِ

---

[33] نفس المرجع، ص132.

[34] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،دار موفم، ص 124.

[35] من أهم مؤسسي علم لسانيات النص.

[36] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب ، ص 114.

[37] سورة البقرة، الآية 104

تُشْبِهُ كَلِمَةَ راعِنا بِالعَرَبِيَّةِ ومَعْناها في العِبْرانِيَّةِ سَبٌّ وقِيلَ مَعْناها لا سَمِعْتَ دُعاءً، فَقالَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ كُنّا نَسُبُّ مُحَمَّدًا سِرًّا فَأَعْلِنُوا بِهِ الآنَ أَوْ قالُوا هَذا وأرادُوا بِهِ اسْمَ فاعِلٍ مِن رَعَنَ إذا اتَّصَفَ بِالرُّعُونَةِ وسَيَأْتِي فَكانُوا يَقُولُونَ هاتِهِ الكَلِمَةَ مَعَ المسْلِمِينَ ناوِينَ بِها السَّبَّ فَكَشَفَهُمُ اللَّهُ، وأَبْطَلَ عَمَلَهم بِنَهْيِ المسْلِمِينَ عَنْ قَوْلِ هاتِهِ الكَلِمَةِ حَتّى يَنْتَهِيَ المنافِقُونَ عَنْها، ويَعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ أَطْلَعَ نَبِيَّهُ عَلى سِرِّهِمْ.)[38] فبعد سرد مفصل لأحوال بني إسرائيل أمر الله بمخالفتهم في قول، ومن كان قوله مهجورا منكرا كان حاله وفعله أحق بالهجر والمخالفة، هذا في سائر المعاملات فكيف بأنفَسها مما يتعلق بمسائل العلم والمنهج والله تعالى أجلّ وأعلم.

إن التعامل مع النظريات الغربية والمصطلحات الوافدة يجب أن يحوطه تحفظ جم واستعلاء مشروع وشدة في التمحيص والنقد مع إخضاع المصطلحات الدخيلة لقواعد اللغة العربية، أما ما يتضمنه العلم (اللسانيات) من دعوى الشمولية أوالكونية [39] أي التوصل إلى قواعد كلية تشمل جميع لغات العالم فيجب الفصل فيه بين ما يدعوه طه عبد الرحمن **مبدأ الكونية** و**واقع الكونية**[40] والحاصل (بتعميم مخل) أن المدارس اللسانية بواقع الكونية ألصق منها بمبدأ الكونية، ففي حين يعني الأول إلزام العلم بالتوصل لقواعد تصف جميع لغات العالم، يلتبس المبدأ الثاني (واقع الكونية) بنزعات أيديولوجية ومآرب سياسية واقتصادية تحمل المرء على إعادة النظر في (مشكلة المعرفة والسلطة برُمّتها)[41] وما أخطأ الأولون حين قالوا (إنّ الله يزَع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن)، هذا وغيره مما يتطلب البحث والتحقيق تختزله مقولة يعقوب[42] التي انتشرت على وسائل الإعلام مؤخرا ملخصة الخطاب الغربي الحاضن لكل ما سبق من النظريات اللسانية (إن لم أستول على بيتك فسيستولي عليه أحد غيري).

---

[38] التحرير والتنوير، ج1، ص550.

[39] واحدة من أهم المدارس التي تنتهج هذا النهج المدرسة التوليدية التحويلية لتشومسكي.

[40] الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي، ط1، ص26

[41] إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمّد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، ص 74.

[42] في ماي 2021، أثناء حملات تهجير قصري لساكني حي الشيخ جراح (المجاور لبيت المقدس) من طرف الجيش الصهيوني، انتشر فيديو لسيّدة فلسطينية اسمها منى الكرد ومستوطن صهيوني تطالبه فيها بالخروج من بيتها، يستنكر فيها يعقوب طلب الكرد مغادرة منزل عائلتها ويعلّل هجومه على البيت بعبارة "إذا لم أقم أنا بسرقة المنزل سيقوم غيري بهذا الفعل" من مقالة إلكترونية على موقع الجزيرة (أنت تسرق بيتي حوار بين ناشطة ومستوطن، 2021/05/2)

المبحث الثاني: تقصيد مفهوم النص

مفهوم التقصيد:

التقصيد على وزن تفعيل وأصله من قصّد، وهو إلحاق ما فهمه المتلقي من كلام بصاحبه، واستعمله الشاطبي بهذا المفهوم السلبي فقال (أن يكون على بال من الناظر والمفسر والمتكلم عليه أن ما يقوله **تقصيد** منه للمتكلم ... فهو يقول بلسان بيانه: هذا مراد الله من هذا الكلام، فليتثبت أن يسأله الله تعالى: من أين قلت عني هذا)[43] وفيه من معاني التجاسر على كلام الله والتفسير بالرأي دون شواهد، أما مفهومه في سياقنا هذا فهو **استصحاب الاعتبار المقاصدي** لكتاب الله في تقويم وتسديد النظر في مسائل اللغة والبيان (أصلا ومصطلحا ومنهجا).

مفهوم النص:

إن واحد من أهم المصطلحات المشكلة في البحث اللغوي المعاصر وحتى الشرعي، مصطلح النص إذ يعتبر من المفاهيم المحورية وكما هو معلوم فالمصطلحات (موطن أسرار الحضارة ومفتاح شخصيتها)[44] وهي بذلك (ليست ألفاظا كسائر الألفاظ بل هي مستودعات كبرى للمعاني والدلالات، كثيرا ما تجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر اللغوي لعكس كوامن تصورية للأمة ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها)[45] وقد تعددت التصورات لما اصطلح عليه (النص) تعددا أفضى لاختلاف في مناهج الدراسة يكاد يكون عائقا على البحث (فلا يوجد تعريف معترف به من قبل عدد مقبول من الباحثين من اتجاهات علم لغة النص بشكل مطلق)[46] ولكنه كما أقر العلامة ابن خلدون (داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه)[47]. وفي ظل هذه السيولة

---

[43] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص318.

[44] فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، ص140.

[45] خالد صدوقي، منهج الدراسة المصطلحية وأهميته في تجلية مفاهيم القرآن، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص03 .

[46] سعيد البحيري، علم لغة النص، ص 101

[47] عبد الرحمن ابن خلدون،المقدمة، دار ابن الجوزي، الطبعة الاولى، فصل في أن كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل، ص485

المعرفية يستحيل التقليد خيارا محمودا يجمع على الطالب أمره ويهذب شعثه فيعكف على تتبع خطى من ارتضى من العلماء وتبني تصوراتهم حتى يخلص لما يرضى، وحسبنا هدي رسول الله صل الله عليه وسلم (قليل نافع خير) فكانت الدراسة مقتصرة على تصور واحد من أهم الباحثين المعاصرين الواعين بمسألة المصطلح والذي له مساهمات معتبرة في تحديد مفهوم النص (عبد الملك مرتاض)[48].

يشبه الدكتور المرتاض عبد الملك النص بالحُجرة المغلقة ومفتاحها داخلها[49] (1988) ثم ينتهي بعد سبع عشرة سنة من البحث إلى السؤال: (ولكن كيف؟ وبأي أداة؟ وبأي منهج؟ وبأي إجراء؟.. وهل يمكن فعل شيء ما، يقع الاتفاق عليه نهائيا بين المنظرين، أمام هذا **اللغز العبقري البديع؟**)[50] (2005) فينبؤنا حال هذا الباحث قبل مقاله عن عجائبية هذا الموضوع "النص" وعجز النظرية عن استيعابه[51]، بَيد أن هذا مما يشحذ الهمم لمزيد نظر، فـ(ميزة علم النص في أنه أفاد من نحو الجملة، مبنى ومعنى، ومن الدراسات الأسلوبية، ومن المناهج والمعارف السابقة) [52] تمنحه امتياز التراكمية التي من شأنها أن تحقق آمال الباحث المرتاض. فما هو النص؟ وهل لهذا المفهوم/المصطلح أصول في التراث العربي؟

1. النص اشتقاقا:

لعل من أول الممارسات العلمية في الخطاب العربي التي اتخذت النص موضوعا لها الدراسات القرآنية، لكنها دراسات اكتفت بمفهوم النص دون مصطلحه (زعم بعض علماء اللغة المحدَثين)، إذ يعتبر الدكتور عبد الملك مرتاض المصطلح نازح من علم أصول الفقه ويرى أن الأصل فيه أن يتناسب والمصطلحَ الدارج في اللغات

---

[48] د عبد المالك مرتاض : ناقد جزائري، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية 2001م ، له مساهمات معتبرة في علم لغة النص.

[49] عبد الملك مرتاض، ألف ياء، ديوان المطبوعات الجامعية، ص13.

[50] عبد الملك مرتاض، نظرية النص، دار هومة، الطبعة الأولى، ص6.

[51] وإن كان هذا من خصائص العلم الملازمة أن (طول مدة المراجعة وشمول المدارسة وعمق التحقيق والتحرير لا يفضي إلى السيطرة على حدود المسألة ... وإنما يفضي إلى سعتها وتباعد أطرافها) مُحَمَّد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص12 .

[52] عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص12.

الأجنبية وفي بعض المصادر العربية التراثية (مصطلح نسج) أما (نص) فـ(لوما أنه مصطلح أدبي متداول اليوم بين العرب لما كان له في أصل الوضع اللغوي أي دلالة اشتقاقية قاطعة متلائمة مع الوظيفة الأدبية)[53] يفترض المعلم المرتاض عبر حكمه هذا قطيعةً مكرسة بين أهل الاختصاصات في الخطاب العربي، الشيء الذي تنفيه المصادر التراثية، فعلماء اللغة هم بعينهم نقاد أدبها، والنحاة كانوا أهل حديث، والفقهاء متكلمون إلا مَن رغب، والدراسات اللغوية كانت دراسات قرآنية في بواكيرها، وإذا كنا نعيب على الدراسات العربية استيراد مصطلح (النص) من علم الأصول، فماذا عسانا أن نفعل إزاء لقب (الراوية) الذي يُنسب إلى حمّاد اللغوي، إذا أُطلق مجرَدا في الثقافة العربية، والرواية صنعة أهل الحديث؟

والحق أن اشتغال الدراسات الحديثة بالبِنية والنظام والأنساق صرف الباحثين عما اشتغل به الدارسون العرب الأوائل الذين قدموا السند الذي يربط النص بصاحبه على النسق (مما يفسر العلاقة المتينة بين النص وصاحبه ضمن الإطار التداولي)[54] فمن يتبع مادة (ن ص ص) في المعاجم العربية القديمة يجد شبه إجماع على أنها (أصل صحيح يدل على **رفع وارتفاع** وانتهاء في الشيء)[55] والارتفاع هنا عدا عن دلالته على (الرفع إلى غاية ما ينبغي)[56] تدل على رفع القول إلى قائله أي نسبته إليه، إذ نجد في معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي: (الإسناد: **رفع** الحديث إلى قائله)[57] فالنص والإسناد كلاهما يلتقي عند كونه (رفعا) بمعنى النسبة والإحالة.

---

[53] عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص45 .

[54] الطيب العزالي قواوة، محاضرات في علم لغة النص، موقع فايسبوك، الصفحة: علم-لغة-النص-1012354651030 60

[55] أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون دار الفكر،(دط)، (1399هـ-1979م)،356/05،(مادة:نص).

[56] معجم الأصول

[57] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، موقع المكتبة الشاملة الحديثة، ص44 .

2. اصطلاح النص عند ابن عاشور:

اختلفت دلالات مصطلح النص عند ابن عاشور، وقد عددنا منها ثلاثة دارت عليها سائ استعمالاته لهذا المصطلح:

أولا: الدلالة الأصولية:

أغلب استعمالات ابن عاشور لمصطلح النص كانت للدلالة على المفهوم الأصولي ويعني (الدليل اللفظي الناهض بالحكم الشرعي والثابت عن الشارع من طريق القطع أوالظن المعتبر شرعا أو عقلا)[58] ويتضمن معنى القطع والحفظ والمرجعية.

ثانيا: دلالته باعتبار العلاقة التخاطبية (مصدره):

عدا المفهوم الأصولي الذي يطغى على استعمالات ابن عاشور لمصطلح (النص)، يلاحظ المتتبع لتعامل هذا العالم مع (النص) استحضاره الدائم **للعلاقة التخاطبية**[59] التي تضمن نسبة النص إلى باثّ وتوجيهه إلى متلق مقصود وهي عنده بمفهوم النص أوثق من المفهوم السائد بكونه (النسيج العام الذي يتألف من خيوط متناسقة على هيئة مخصوصة)[60]، هذه العلاقة تؤطر كل النسيج والهيئات النصية عنده، (فإذا انطوى الكلام على علاقة لفظية، فينبغي أن تكون تابعة للعلاقة التخاطبية)[61]، إن ثبوت انتماء النص لصاحبه يمنحه من صفات القائل وصلاحياته ولهذا العامل (في الخطاب العربي) سلطان يتحكم في باقي المستويات (الدلالي والتركيبي والصوتي) على غرار النصوص في الخطابات الغربية التي تخضع للتجزيء والتحريف وشتى أنواع التعدي ومعلوم أنّ النص (وحدة منسجمة قائمة على قواعد تركيبية ودلالية وتداولية معا، ويؤدي الفصل بين هذه

---

[58] معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال، دار الجيل، مادة (النص) ص337

[59] المصطلح للفيلسوف اللغوي طه عبد الرحمن.

[60] الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص17 .

[61] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص215

القواعد أو الاكتفاء بقسم منها إلى خلل حتمي في التفسير)[62] ، هذا السلطان الذي يكتسيه النص من صاحبه ثبت عن الصدّيق أبي بكر في حديث عائشة ﵂ قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى؛ أصبح يتحدث الناس بذلك؛ فارتدَّ ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر ﵁، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: **أو قال ذلك؟ قالوا: نعم قال: لئن قال ذلك لقد صدق،** قالوا: أو تصدقه أنَّه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم، إني لأصدقه ما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سُمِّي أبا بكر الصديق ﵁[63] فكان صدق الحديث من عدمه متعلق بشخص القائل لا بمدى عقلانيته في ذاته وفاقت قرينة النبوة عند الصدّيق (قرينة متعلقة بشخص رسول الله اللهم صل عليه) أي قرينة أخرى. ينهج المعلم بن عاشور هذا النهج في تفسيره لآي القرآن ولأحاديث رسول الله اللهم صل عليه ففي مقالة (الكتاب الذي همّ به رسول الله اللهم صل عليه قبيل وفاته) يقول الإمام[64] « روى البخاري في كتاب العلم وفي المغازي وفي الجهاد، وروى مسلم في كتاب الوصية بأسانيد مختلفة ترجع إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسعيد بن جبير كلاهما عن ابن عباس، وفي بعض أسانيده زيادة على بعض، وأنا أجمعها هنا:

(قال ابن عباس: يوم الخميس ما يوم الخميس، لما حُضر رسول الله واشتد به وجعه وفي البيت رجال، قال: "ائتوني باللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أو بعدي أبدا"، فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله، حسبنا كتاب الله، فاختلفوا واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم، ومنهم من يقول غير ذلك. فتنازعوا وكثر اللغط، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: **ما شأنه؟ أهَجر؟** استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: "دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه"، فكان ابن عباس يقول: الرزية الرزية ما حال

---

[62] سعيد البحيري، علم لغة النص، ص106

[63] رواه الحاكم (81/3) (4458)، وعبد الرزاق في ((المصنف)) (321/5)، والآجري في ((الشريعة)) (1030). وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (306): متواتر .

[64] مقالة: الكتاب الذي همّ به رسول الله اللهم صل عليه قبيل وفاته، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، جمعها مُحَمَّد الطاهر الميساوي، دار النفائس ط1، المجلد الثاني، ص646.

بين رسول الله وبين كتابه)[65] ».يذكر الإمام ابن عاشور في الحديث تسع مسائل، ثمانية لا تعنينا هنا والتاسعة قال فيها (أن بعضهم قال "ما شأنه، أهَجر؟ استفهِموه" فإنّ معنى هجر: قال هجرا، أي: قال كلاما غير مقصود كشأن المحموم، فيكون هذا القائل قد جوّز أن يكون ما صدر من رسول الله ﷺ كلاما لا تعويل عليه، فيكون تجويزا لجريان الخطأ على لسانه. وهذا يدافع اليقين بأن لا ينطق عن الهوى) فقول القائل بتجويز صدور الكلام غير المقصود من رسول الله ﷺ وقد ثبت عن ربه أنه نفى عنه هذا النوع من الكلام فقال (لا ينطق عن الهوى) وهو ما استشهد به الإمام الطاهر ابن عاشور في رد هذه الشبهة عن رسول الله اللهم صل عليه وسلّم وله في باقي المسائل حديث عزيز وفريٌ يُبين الحق من الباطل ويميز.

هذه العلاقة التخاطبية التي تربط النص بصفات قائله ومقامه حين القول وما اعتراه من أحوال روحية ونفسية وسلوكات يلتقطها القوم ممن حولَه فتتحكم في فهمهم للنص المقول، ثم يورثونها لمن بعدهم وهكذا دواليك، إلى أن يصلنا النص محفوظا بعوالمه السلوكية والقيمية التي لم تتضمنها الكلمات ولا التراكيب وإنما تضمنتها أفعال القائلين وأحوالهم مما لا تستطيعه بيانه العلاقات التركيبية والدلالية للنص ولا الدواوين الشعرية والمدونات المعجمية (ذلك لأن المعاجم لا يسعها أن تدلي بكل ما يمكن أن تدل عليه المفردات لأن من وراء المعاني الوضعية **المقاصد** الخاصة)[66]، فوجب حفظ هذه العوالم (سبق لهذا أهل علم الحديث) ثم إعمال هذه الأسانيد ومتعلقاتها في توجيه دلالات النصوص، والأهم حفظ هذه السنّة الربانية التي شقها رسول الله اللهم صل عليه (مجالس العلم الحضورية لا التحصيل من الصحف)، و لشيخ المحققين محمود شاكر إشارة لهذا في حاشية له على تفسير الطبري[67] يقول فيها: (تبين لي مما راجعته من كلام الطبري، أن استدلال الطبري بهذه الآثار التي **يرويها بأسانيدها**، لا يراد بها إلا تحقيق معنى لفظ أو بيان سياق عبارة، فهو قد ساق الآثار التي

[65] صحيح البخاري الحديث رقم 114، 3053، 3168، 4431، 4432، وصحيح مسلم الحديث رقم 1637.

[66] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص19

[67] أشار إليها الدكتور مساعد الطيار في كتابه (التفسير اللغوي) فصل (كل تفسير لغوي وارد عن السلف يحكم بعربيته وهو مقدم على قول اللغويين).

رواها **بإسنادها** ليدل على معنى (خليفة))[68] فهذا مزيد بيان في أهمية الإسناد (أسماء الرجال الرواة وأحوالهم) وأثره في توجيه دلالات النص المسنَد.

إن في الخطاب العربي من المصطلحات المحورية أمثال (الرواية) و(التصحيف) و(السند) و(علم الرجال) و (الأمالي) وغيرها كثير مما يدل على أنّ (النص) بمفهومه الجوهري في التداول العربي يتعلق بالقول المنجز وحال صاحبه أكثر من تعلقه بالمكتوب من الكلام بل إن جل الأثر العربي كان في الابتداء أماليَ وشروح ورحم الله القائل:

أودى جماع العلم مذ أودى خلف راوية لا يجتني من الصحف[69]

و استصحاب هذا الاعتبار في مفهوم النص في الخطاب العربي، يجنب الباحث من الوقوع في كثير من المزالق التي يقع فيها الدارسون باسم العقلانية والتجديد والتأريخ والأنسنة.

ثالثا: دلالته باعتبار مقامه:

تجاوز الطاهر ابن عاشور تعريف النص باعتبار صاحبه إلى الاعتداد بالحال التي ولدت النص أو ما يسميه دي بوجراند بـ(العالم المفهومي للنص) ففي حين تؤخر المناهج الأعجمية المستوى التداولي فتجعله تكميليا، يتربع هذا المستوى على باقي مستويات التحليل اللغوي في الخطاب العربي ومن صوره الرجوع إلى أسباب النزول في تحديد تركيب عبارات القرآن فدلالتها عند ابن عاشور، ومن ذلك الخلاف في تحديد دلالة (**مَن**)[70] في قوله تعالى {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ}[71] ، يقول ابن عاشور (فإذا ظن أحد أن **مَن** للشرط أشكل عليه كيف يكون الجور في الحكم كفرا، ثم إذا علم أن سبب النزول هم النصارى علم أن مَن موصولة

---

[68] تفسير الطبري، 1 حاشية ص453-454 .

[69] نقله مُحَمَّد محمود الطناحي في (قضية التصحيف والتحريف) عن (تصحيفات المحدثين 20/1).

[70] عدنان قحطان عبد الله، دور أسباب النزول في فهم المعنى عند الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، ص5.

[71] سورة المائدة، الآية 44

وعلم أن من تركوا الحكم بالإنجيل لا يتعجب منهم أن يكفروا بمحمد)[72] اللهم صل وسلم عليه، بل عمد إلى مزيد تحقيق في المسألة الأصولية أن من أفعال النبي اللهم صل عليه ما كان جبليا لا يدخل في التشريع، فحاول عدّ أحوال النبي ﷺ استقراءً لما ثبت عنه فقال: (وقد عرض لي الآن أن أعدّ من أحوال رسول الله ﷺ التي يصدر عنها قول منه أو فعل اثني عشر حالا، منها ما وقع في كلام القرافي ومنها ما لم يذكره)[73] ، وقد قُتل هذا المبحث دراسة باسم (السياق والمقام والحال وغيرها).

ثالثا: دلالته باعتبار نسجه:

وهو التعريف السائد الذي انتشر في عصرنا وركزت عليه المناهج (البنوية، التقويضية، النسقية..) وهو تعريف النص بما يتضمن من علاقات داخلية وخارجية، ويفضل المقاصديون في هذا عن غيرهم بـ:

1/ **تقصيد المنهج**، وهو استقاء منهج النظر في النص من النص نفسه، ويجري هذا على كل أنواع النصوص (إذا سلمنا أن لكل نص خصوصيات معينة)، تزداد الحاجة لهذا حين ننطلق من القرآن الذي يعتبر مصدرا لتعلم ما يدعوه الفراهي[74] **بتعليم أصول الفكر الفطري** هذا المقصد الرئيس الذي انطلق منه الطاهر بن عاشور الموضَّح في الآية {وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ **تِبْياناً** لِكُلِّ شَيْءٍ}[75] فالناظر في القرآن يكاد يُحصّل (بيان كل شيء) بإذن ربه، ألا ترى أن مِن أول الآي نزولا {إِقْرَأْ} ثم لاحظ إرداف الخلق بتعليم البيان {**خَلَقَ** الإِنسَانَ عَلَّمَهُ **البَيَانَ**}[76] فمن استقام لسانه ببيان الكتاب المسطور استقام نظره في الكتاب المنظور والله أعلم. ولعل من أول تجليات هذا النظر بحث الدارسين في مقاصد القرآن باعتبارها منهجا يقوّم تفسير القرآن، تقول فريدة زمرد بهذا الشأن (نطمح إلى الكشف عن نظر مقاصديّ أكثر أهمية بالنسبة لضبط عملية الفهم والتفسير

---

[72] التحرير والتنوير، ج6، ص 210

[73] مقاصد الشريعة، ص 212

[74] عبد الحميد الفراهي الهندي، دلائل النظام، المطبعة الحميدية، ط1، ص31

[75] سورة النحل، الآية 89

[76] سورة الرحمن، الآية 04

والتأويل، وهو المتعلق بمقاصد التفسير)[77] تنبه لهذا المنهج عبد الرحمن الحاج صالح ففرض في الدراسات التراثية أن لا يعدُ الدارس نصوص المؤلف الواحد ليفك دلالات مصطلحاته فيفسر أقواله ببعضها.

2/ إلحاقهم المتشابه بالمحكم، فالنص عند المقاصديين حلقة ضمن منظومة متكاملة، لا متتالية جمل مفتوحة على القراءات أوبنية مفصولة عن صاحبها أو وليدة متتالية من التناصات اللامحدودة والعشوائية إذ العملية التحليلية عند لساني النص تنطلق من (الأبنية الدلالية الكبرى العميقة التي تكمن في أعماقه، وتسمح له أن يحددها من خلال الأبنية التركيبية المتشكلة على السطح)[78] فالنظر يكون من الأبنية نحو الكليات بينما ينتهج المقاصديون العكس فالناظر في النص العربي ينطلق من (كليات محكمة وأصول راسخة ومقاصد دائمة: تدل عليها دلائل خاصة وقرائن بينة؛ وأمارات معقولة)[79] ليلج نظم النص وبنياته فإن (فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده)[80]، النص عند المقاصديين له منظومة محكمة من القطعيات التي توجه دلالاته وباقي مستوياته ومرجعية تؤطره لها سمات تختلف الأفهام في تبيينها والمعينُ واحد، فنجد بديع الزمان النورسي يقول (إن المقاصد الأساسية من القرآن، وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة)[81] ورأى مُحَمَّد عبد الله دراز أن القرآن يدور حول ثلاث جوانب (الحق أو العنصر الديني، والخير او العنصر الأخلاقي، والجمال أو العنصر الأدبي)[82] فتطبيق هذا النوع من الولاء للخطاب والثقافة الحاضنة للنص في دراسته أنجع

3/وصف النص بخصوصياته، فيجعلون لكل متتالية جمل محددة **توقيفيا** (السورة)[83] هوية مخصوصة وسمة غالبة تتحكم فيما دونها من العلاقات ومن نهج هذا (عبد الله دراز ومُحَمَّد الغزالي وسيد قطب..) فسيد

---

[77] بين مقاصد التفسير والنقد التفسيري، مجلة الإحياء العددان 37-38، ص198.

[78] البحيري، علم لغة النص، ص100.

[79] علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، الدار البيضا مطبعة النجاح الجديدة، ط4 ، 1991، ص163-164.

[80] الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج4، ص266.

[81] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة أ .إحسان قاسم الصالحي، ط2، 1994، دار سوزلر القاهرة (23/5)

[82] ينظر كاتابه (مدخل إلى القرآن الكريم)

[83] (من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور ومنه السّوار لإحاطته بالساعد) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

قطب يجعل للسور (شخصية) ومُحَمَّد الغزالي يسميها (صورة شمسية)[84] ويورد ابن عاشور هذا العنصر في تعريف السورة بقوله (... تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة)[85] هذا النوع من التعريف بالفصل على المستوى الدلالي، يعين على تنسم السمات الغالبة على نصوص معينة وفيه مزيد بيان لما انطوت عليه من دلالات ويدخل في هذا فرز العلماء بين المكي والمدني والسمات الغالبة على كل صنف، وتعددت الاستعانة بهذا العامل في تفسير ابن عاشور تحت مسمى (سياق السورة) فكان الاعتماد على جملة السمات الدلالية المحكمة للسورة في تحديد الدلالات الجزئية لعباراتها واو مفرداتها، منها صنيعه في تفسير آية {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ}[86] إذ رد قول البعض في أنها نزلت في فتح مكة فقال(ومنهم من أبعد المحمل فجعل الآية نازلة في فتح مكة وهذا **لا يناسب سياق السورة**)[87]

[84] نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم،ط 4، 2000، صـ 5،6

[85] التحرير والتنوير، ج1، صـ84

[86] سورة الفتح، الآية 24

[87] التحرير والتنوير، ج26، صـ184.

خاتمة

إن البحث المقاصدي نظر في الكليات وهو وليد وعي بآفة التجزيء والتفريع، وله فضل على سائر العلوم على مستوى التنظير خاصة، منها علم لغة النص وفي بحثنا هذا محاولة لتنسم عينة من هذا الأثر عبر جمع مادة علمية حول مفهوم مصطلح النص عند واحد من أهم مفسري القرآن المقاصديين (الطاهر ابن عاشور) وتحليل هذه المادة بغية استغلال معطياتها في تقويم وتسديد النظر اللغوي (علم لغة النص). وبدا جليا كيف أن استعمالات المعلم الطاهر ابن عاشور لهذا المصطلح تجاوزت مفهومه (النسيج الذي يحوي علائق داخلية وتراكيب) إلى كونه القول المرفوعُ لصاحبه المستودع فيه وفي علاقته التخاطبية مناهجُ تحليله وآليات تفسيره. وهو مفهوم يختلف عن المفهوم السائد في الدراسات اللسانية الغربية، وقدمنا لهذا بمقدمات توضح المنطلقات التي استند إليها بحثنا وتسوغ مرجعياته، فخلصنا إلى أهمية الانكفاء على الذات حين يتعلق الأمر بالمصطلحات المفتاحية البانية لمناهج النظر .

ربنا اغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم وتقبل منا إنك أنت الواسع العليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على معلم الناس الخير.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

– الرسالة، الإمام المطلبي مُحَمَّد ابن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

– تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، نسخة المكتبة الشاملة الحديثة.

– مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر ابن عاشور، تحقيق الشيخ مُحَمَّد الحبيب ابن خوجة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر.

– جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، جمعها مُحَمَّد الطاهر الميساوي، دار النفائس.

–السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر.

– بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر.

–نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة.

–في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عبد الرحمن بودرع، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية.

– علم لغة النص، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون.

–التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي.

–الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي.

– الدراسة المصطلحية المفهوم والمنهج، الشاهد البوشيخي، دار السلام.

– التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، إبراهيم طلحة أصلندور.

الفهرست

مقدمة	03
المبحث الأول: سؤال المرجعية	06
الفصل الأول: مسوغات اعتماد المرجعية الدينية في دراسة اللغة	
الفصل الثاني: احترازات للتعامل مع النظريات اللسانية الوافدة	
المبحث الثاني: تقصيد الدرس اللغوي	13
الفصل الأول: تعريف (تقصيد)	
الفصل الثاني: تعريف (النص)	
– النص اشتقاقا	
– النص في استعمال ابن عاشور:	
أولا: دلالته باعتبار العلاقة التخاطبية	
ثانيا: دلالته باعتبار مقامه	
ثالثا: دلالته باعتبار نسجه	
خاتمة	23
الفهرست	

ملخص البحث

يقوم البحث على فكرة منهجية هي استنطاق علم مقاصد القرآن باحترازات تحفظ الدرس اللغوي العربي (لسانيات النص منه خاصة) من آثار الضلال والغواية، لما لعلم المقاصد من تعلق بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم لكون علم لسانيات النص من العلوم الغريبة على المجال التداولي الإسلامي. وبما أن دراسة أثر علم المقاصد على لسانيات النص جملةً ضربٌ من الدراسات البينية التي تبحث في الأصول والتي تتطلب من الرسوخ في العلم ما تنوء به العصبة، اقتصرنا في بحثنا على تتبع مصطلح (النص) عند واحد من أهم مقاصديي القرن (الطاهر ابن عاشور) لما للدراسات المصطلحية من أهمية في التمهيد والتأسيس لما يليها من دراسات في المنهج والأصول.

Summary

The research is based on a methodological idea, which is to question the science of the purposes (maquasid) of the Qur'an with precautions to preserve the Arabic linguistics (textual linguistics in particular) from wrong approaches because textual linguistics is one of the foreign sciences from the Islamic deliberative field. Since the study of the impact of the science of (maqasid) on textual linguistics as a whole is a kind of intersectional studies Which is difficult and long , we confined our research to tracing the term (نص) according to one of the most important scholars of maquasid (Al-Tahir Ibn Ashour) when Terminological studies are of importance in preparing and establishing the following studies in methodologie.

السيرة الذاتية

الاسم: هاجر دهيمات.

تاريخ الميلاد: 02 جوان 1995م برج بوعريريج، الجزائر.

مؤسسة التدريس الحالية: ثانوية سقني عيسى (أستاذ التعليم الثانوي لمادة اللغة العربية وآدابها) ببرج بوعريريج.

الشهادات المحصل عليها: أستاذ التعليم الثانوي من المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار (قسنطينة) (2021/2020).